رأي القدس

ظاهرة «الكفيل الكردي» واخطارها

■ بات المواطن العربي العراقي في حاجة الى «كفيل» كردي اذا اراد الاقامة في كردستان العراق هربا من فرق الموت والميليشيات الطائفية التي حولت بلاده الى «مقبرة جماعية» تتناثر الجثث في شوارعها محطمة الجماجم، وآثار التعذيب بالمثقاب الكهربائي واضحة في اجزاء مختلفة منها.

وكالة انباء «رويترز» العالمية اجرت تحقيقا موسعا وموثقا حول اسر عراقية عربية تعرضت للطرد لعدم وجود كفيل كردي في اربيل العاصمة، او المدن الاخرى، يمكن ان يوقع الاوراق الرسمية المطلوبة في هذا الخصوص.

لو كان هذا الخبر منشورا في صحيفة عربية او تركية لترددنا كثيرا في تصديقه، ولقلنا انه ربما ينطوي على مبالغات كبيرة، ولكنه منقول عن وكالة انباء عالمية محترمة تملك مكتبا في اربيل، واي نفي له من قبل مسؤولين اكراد في حكومة كردستان يصعب تصديقه او اخذه على محمل الجد.

فالنوايا الانفصالية لدى القادة الاكراد العراقيين باتت معروفة، وبلغت ذروتها عندما قرر السيد مسعود البارزاني رئيس الاقليم عدم رفع العلم العراقي فوق الدوائر والمؤسسات الرسمية والاكتفاء بالعلم الكردي فقط، وبرر هذه الخطوة بان هذا العلم يعود الى حزب البعث ورئيسه صدام حسين.

مثل هذه الخطوات ذات الطابع العنصري تبدو استفزازية، خاصة انها تأتي من قبل الاشقاء الاكراد الذين طالما اشتكوا من عمليات التمييز القومي ضدهم من قبل الحكومات المركزية في بغداد.

فكيف يحتاج المواطن العراقي، سنيا او شيعيا، مسيحيا او مسلما، عربيا او تركمانيا، تصريحا بالاقامة، وكفالة كفيل كردي، ورئيس العراق كله هو السيد جلال الطالباني الذي وصل الى هذا المنصب باصوات العرب اساسا، وبترحيب منهم في خطوة نادرة وغير مسبوقة؟

لا نريد ان نضرب امثلة حول التآخي العربي ـ الكردي في العراق وسورية ومختلف الدول العربية الاخرى. كما اننا لا نريد النبش في تاريخ الشعبين لنذكّر بدور صلاح الدين الايوبي في تحرير فلسطين من الصليبيين، وقيادته جيشا من العرب لانجاز هذه المهمة.

بغداد وضواحيها استضافت حتى الامس القريب اكثر من مليون ونصف المليون مواطن كردي، عاشوا جنبا الى جنب مع اشقائهم العراقيين دون اي تمييز، بل انهم حظوا بمعاملة افضل من العرب من قبل الحكومة المركزية، عندما قرروا التعايش كمواطنين صالحين.

ربما يفيد تذكير السيد مسعود البارزاني ان دبابات صدام حسين واطقمها العربية لم تحتج الى كفيل كردي عندما لبت نداءه وانقذت اربيل من «احتلال» قوات خصمه جلال الطالباني التي اجتاحتها قبل سنوات عدة.

نحن مع التعايش العربي ـ الكردي، ونرى ان الاشقاء الاكراد يجب ان ينالوا كل حقوقهم المشروعة، بما في ذلك حق تقرير المصير في وطنهم، ولكن مثل هذه القرارات المتشنجة والعنصرية لا تخدم الاشقاء الاكراد، بل تعرضهم للاخطار، خاصة ان الاحتلال الامريكي للعراق بدأ يواجه الهزيمة ويستعد جنوده للهروب.

هل انتهت «الحقبة البوشية» حقاً من تاريخ العالم؟

مطاع صفدي *

■ الحدث الانتخابي الأمريكي يصير حدثاً عالمياً. والمعركة بين الحزبين الجمهوري والديمقراطي تغدو هماً سياسياً دولياً تتابعه حكومات المعمورة، كما أن تطوراتها ونتائجها تحتل صدارة الاعلام الكوني. وتعكف أقلام الكتاب والمحللين على تناول تفاصيلها، والادلاء بالتوقعات، والمؤثرات المنتظرة بالنسبة لظروف هذه الدولة أو تلك القريبة والبعيدة عن عاصمة القرار في واشنطن، التي أمست منذ زمن طويل، كما لو كانت عاصمة الدنيا، اذ لم تعد ثمة سياسات لأية بقعة في هذه الدنيا، لا تنفعل بطريقة أو أخرى بتحولات الأمزجة الحاكمة في البيت الأبيض وهيئاته النيابية. هذا بالرغم من ندرة المؤشرات على جدة متغيرات أساسية معينة قد تجيء مع هذا الرئيس أو ذاك، وخاصة بالنسبة للسياسة الخارجية.

مع ذلك فالترقب الدولي هذه المرة للحدث الانتخابي كانت تتغلب عليه اشارة التلهف للجديد المختلف الذي يمكن أن يأتي به فوز الديمقراطيين. ولعله ليس من المألوف دائماً أن تتقارب أماني الدول ازاء المتغيرات الداخلية لبعضها، وبصورة تلقائية، فالواضح أن هناك شبه اجماع على رهان بمتغيرات حاسمة ستطرأ على صورة العالم الراهن، وقد أضحت متوقفة على نتائج الحدث الأمريكي الداخلي، المتعلق بزيادة بضعة نواب جدد من الحزب الديمقراطي تمنحه قوة الأغلبية في الكونغرس مقابل الحزب الجمهوري الحاكم... كأنما هذا التطور الجزئي، الداخلي البحت، يأتي ايذاناً بانتهاء الحقبة البوشية حتى قبل انقضاء فترة الرئاسة الثانية نفسها بنحو سنتين. هذا مع عدم الذهاب بعيداً في المراهنة على تحولات جذرية في الاستراتيجية الأمريكية الشاملة، وان كانت المسألة العراقية قد لعبت الدور الحاسم في فقدان الشيء الكثير من شعبية بوش الى درجة أن هناك العديد من أعضاء حزبه باتوا أقرب الى طروحات المعارضة الديمقراطية عينها. ولكن الحزب الجمهوري ككل دفع الثمن الباهظ الذي كان يخشاه ضياع سلطة القرار والحسم التي تمتع بها في مجلسي النواب والشيوخ منذ أواسط التسعينيات.

غير أنه اذا كانت هذه الانتخابات قد أطاحت نسبياً بالحزب الذي أنتج الحقبة البوشية، الا أن الحزب الآخر، أي الديمقراطي الذي سيمسك بسلطة الغالبية في الكونغرس، لن يكون هو البديل المناقض تماماً لسياسة خصمه. على الأقل لا من حيث منطلقات الاستراتيجية العامة للدولة الأمريكية، أو لأهدافها التقليدية المعروفة، والمشتقة كلها من مبدأ الهيمنة على العالم، والضرورة المطلقة في المحافظة على أحادية التفوق في مختلف الميادين بوسائل السلم كما بالحرب، وهذه الأخيرة، الحرب، أضحت هي الوسيلة المفضلة والفريدة التي ميزت الحقبة البوشية. ولم يكن خيار العنف العسكري بعيداً يوماً عن الخاصية الأولى المميزة لأمريكا منذ نشأتها الأولى بكونها دولة الحرب. وقد كانت لها فلسفتها المسوغة دائماً لمبدئية القوة، لكونها كما ترى في نفسها، الرائدة لثورة الديمقراطية، والحاملة لأعباء نشرها في العالم أجمع. فقد أعطت لذاتها حق احتكار المهمات الخلاصية وتحرير الانسانية من أمراضها الأزلية، في خضوعها لظلامات الاستبداد والطغيان. لكن تاريخ الممارسة الفعلية قد جنح بالدولة الأمريكية نحو تغليب الواسطة التي هي تحقيق الهيمنة سلماً أو حرباً، على الغاية المرفوعة كشعارات حول حقوق الانسان، والتي بقيت هكذا مجرد تبريرات خطابية للعنف وحده الذي تصاعد الى أقصاه مع الحقبة البوشية. فالمستنقع العراقي لم تسقط فيه أمريكا نتيجة غلبة الجمهوريين فقط، فقد صوت الديمقراطيون كذلك الى جانب قرار الحرب. وكانت حجتهم طبعاً التضامن الوطني ضد الارهاب الذي ضرب رموز المؤسسة الأمريكية يوم الحادي عشر من ايلول (سبتمبر). هذا التاريخ شكل المنطق الأهم في سياسة الدولة داخلياً وخارجياً. وتلقفته مؤسسة السلطة كأثمن هدية للاستثمار الاستراتيجي، وسوف يمدها بكل الذرائع الباحثة هي عنها منذ أن فقدت معظمها مع انهيار (العدو) الشيوعي.

والسؤال الأعمق الآن هل سيقع التغيير المنتظر على كلية الحقبة البوشية، اعتباراً من أيديولوجيتها المعلنة ذات العنوان الوحيد وهو الارهاب، الذي انتهى مع الممارسة العنفية المعممة حيال مختلف الملفات الدولية، انتهى عملياً الى الحالة الراهنة التي يمكن القول عنها أنها حالة ارهاب العالم. ما يعني التخطي لكل التصنيفات المتداولة تحت تسميات تصير فرعية، من مثل (الحرب العالمية على الارهاب)، (الارهاب الاسلاموي) و(الارهاب الدولتي المضاد) الخ.. فما أمست تعنيه حالة ارهاب العالم هو الترجمة المادية المباشرة للعولمة الاقتصادية الى مجرد عولمة أمنية بوليسية. فلا تكاد أية دولة غربية خاصة قادرة على تخطيط أمنها القومي الا اعتباراً من أولوية التهديد الارهابي ومدى سلطانه السحري الأسود على عقول القادة السياسيين والاعلاميين، وحتى بعض الثقافيين. ثم أن هذه الأولوية لخطر السحر الأسود الجديد راحت تفرض انقلابات نوعية ظاهرة في عمق الثقافة المدنية. فتهتز بعض أركانها الأساسية المكتسبة من تجارب التاريخ الاجتماعي الحافل بثورات المبادئ الكونية الآيلة الى هذا التميز الافتخاري ببناء الشخصية المفهومية للغرب الحداثوي، المطابقة قليلاً أو كثيراً لبداهات العقلانية الكونية.

المسألة اذن لا تتوقف عند ظاهرة هذا الابتهاج شبه العالمي بكون الناخب الأمريكي استطاع أن يُنزل أول عقاب برئيسه، الذي لا يزال يحكم وكأنه الرئيس الأبدي. وقد يبدو أنه غير حافل أو عابئ، بل مستوعب لدلالة هذه الظاهرة وما تنذر به من تطورات لا يريد هو وفريقه من اليمين الجديد الاعتراف بها. لن يتخلى هذا الفريق عن اعتقاده بأن الحقبة البوشية، رغم كل شيء، قد نجحت في تحقيق الصميم من مشروع ارهاب العالم، وذلك باطلاق مختلف أدواته، أو وحوشه ما قبل التاريخانية، انه النجاح باعادة انتاج نماذج الانغلاقات الفئوية المؤدلجة بالاستيهامات الشعبوية، من وثنية العنصريات المختلفة، التي يبلغ الغرب في قبالتها ذروة العنصرية الأخطر المعتمدة على رهانات التفوق الحضاري والانفراد الاحتكاري والسلبي بعناصرها المؤسسة دون بقية البشرية، ومهما حاولت حضارات أخرى، ومن قلب هذا الشرق كالصين والهند، أن تخطف بعض شرارات من شعلة الاله بروميتيوس، الذي كان هو الأول في اختطاف نار المعرفة من لدن آلهة الأولمب، ومنحها للانسان. لكن الانسان الأبيض وحده هو الذي ينبغي له أن يسود المعمورة السفلى هذه.

ان الميثالوجيا الاغريقية تجد لها قريناً عصرياً جداً في ابتكار وترسيخ ما يسمى بثقافة العوالم الافتراضية. وان (ارهاب العالم) يصير مع الحقبة البوشية الى أحد هذه العوالم، تطبيقاً لنموذج الأسطرة الافتراضية التي تنقلب الى واقع بالرغم من كل حمولة الوهم والاستيهام المرافقة له.

قد يكون الناخب الأمريكي هو السباق في الصحو في سحر هذا التنويم. لكن من يقول منذ الآن أن بادرة الاختلاف والمغايرة الحالية يمكنها أن تبلغ حد الوعي يوماً بضرورة الثورة على الحقبة البوشية، وليس فقط الاكتفاء بتغيير بعض رموزها ومن داخل بنية السلطة، وليس من ذلك الخارج الآخر الذي يملأه المجتمع الأمريكي المبعد دستورياً حتى الآن عن ممارسة حقوقه الانتخابية واختيار ممثليه من خارج حزبي السلطة.

لذلك ليس ثمة طموح بعيد المدى في ألا تغدو البوشية هي كنيسة المستقبل السياسي الدولتي لأمريكا، التي سوف تتمكن من بناء سلالة بوشية بأسماء ووجوه أخرى من رؤساء ونواب وحكام. فلقد حقق مؤسس هذه السلالة وادارته ما يجعله ورعيته يطمئنون الى امكانية الاستمرارية المستقبلية، بعد أن تمكنوا، كما يعتقدون، من ترسيخ قاعدة ثابتة للانقلابية المستديمة في صلب بنية السلطة الدستورية، وهي المتمثلة في (شرعنة) ضمنية للنقلة الصامتة ولكن الحاسمة من النظام الرئاسي الى نظام الديكتاتورية المقنعة ديمقراطياً صورياً، لكنها السافرة منذ الآن بكل ماضي انجازاتها القريبة، والواعدة بالانجازات الأخطر تحت هيمنة ايديولوجيا: ارهاب العالم دائماً.

* مفكر عربي مقيم في باريس

المضحك والمبكي في تراجيديا العرب والغرب

د. مضاوي الرشيد *

■ يبدو ان الغرب محتار في كيفية التعامل مع الحيز السياسي العربي، كذلك هو محتار في اختيار الشريحة السياسية التي يريد ان يتعامل معها في المستقبل. اذ ان الغرب قد وصل الى نتيجة جديدة مؤخرا الا وهي ان الطاقم الحاكم العربي قد تجاوز عمره وفقد مصداقيته ونخر العجز جسده، لذلك هو يوميا من خلال اجتماعاته في مراكز الابحاث ومقابلاته مع رموز الحيز السياسي ومناوراته اليومية وتمويله للمؤتمرات والاجتماعات الدورية يبحث جاهدا عن بديل مهيأ لان يتصدر القرار العربي في كل قطر عله بذلك يجدد علاقاته مع اطياف يعول عليها الأمل ان تنتشل المنطقة من ركودها السياسي واحتقانها الشعبي.

من خلال تتبعنا لهذه المؤتمرات نلاحظ رغبة ظاهرة في ايجاد البديل للنظام العربي القائم على اقدام واهية، لا يجد وسيلة للبقاء سوى الاغواء بالتنمية والرفاهية في بلاد عندها من السيولة المادية ما يمكنها من بناء شرعية آنية على خلفية الانجاز الاقتصادي او عن طريق القمع المباشر والاعتقالات التعسفية الجائرة. يتعامل اليوم الغرب مع ثلاث شرائح مختلفة يعتقد ان احدها او بعضها سيمكنه من تفعيل حالة سلمية يتم بنتيجتها نقل السلطة الى مرحلة جديدة. كل يوم وكل اسبوع نسمع ونتطلع الى فصل جديد في مسرحية اقرب ما تكون الى تراجيديا غربية ـ عربية فيها من التناقضات ما يضحك وما يبكي في نفس الوقت.

ينمي الغرب علاقات ودية مع شريحة المثقفين والناشطين العرب، ويعتبرهم كحزب جديد. يأتي هذا الحزب الى عواصم الغرب وربما بعضهم يقيم في هذه العواصم ويستقبل في اروقة فاخرة ومؤتمرات يصرف عليها الكثير. حزب المثقفين مستوعب لمصطلحات الغرب ويحمل معه قاموسا سياسيا يمتلئ بمصطلحات معروفة فينظر اعضاء هذا الحزب الى ضرورة تقوية المجتمع المدني ومؤسساته ويطالب بحقوق الانسان واحترامها ويحمل شعار التعددية والقبول بالآخر وتشجيع المواطنة. أي باختصار يبدو هذا الحزب وكأنه البديل المرجو والمرتقب دون اي عملية استشرافية لقاعدته ودوره وشعبيته في بلده الأصل.

اما الحزب الآخر فيأتي بصفته جزءا من الفلكلور العربي القديم اذ ان له من الخلفية التاريخية ما يجعله يستقبل في عواصم غربية، يأتي هذا الحزب بلباسه الوطني ولا ينسى بعض الملابس المحلية التي تضفي عليه نوعا من الشرعية التقليدية القديمة كالغترة والعقال والثوب والبشت يحمل هذا حقيبته الكاملة ويأتي الى العواصم الغربية ولكن استقباله يكون بعيدا عن الاضواء وخلف الكواليس وعلى عكس الحزب الاول الذي تعلم دروسا في ديمقراطية الفنادق من كثرة ترديده عليها وعلى مؤتمراتها نجده يحمل كنزا تقليديا يطمح الغرب ان يفعله وقت الضرورة. اذ ان الفلكلور العربي يعدهم بتفعيل دور جيش قبلي يعتقد انه يأمره وينهاه ويخضع لارادته الشخصية ويعد الغرب ايضا ان يقوم بدور الوسيط بين الخارج الغربي والمجتمع القبلي المفرط في قبليته. ولا يعلم شيخنا هذا ان قبيلته التي يدعي انه شيخها قد تفككت ونسيته منذ زمن وهي اليوم لا تأتمر بأوامره ولا تهتم لقراراته. يعتبر الغرب شيخ العشيرة ملاذه الاخير اذ انه سيؤمن له مرور انابيب الغاز والنفط ويضمن سلامة المهندسين والعاملين في القطاعات الاقتصادية وان اختطفهم احد ما سيحاول جهده وسيبذل جميع طاقته في سبيل الافراج عن اي مخطوف غربي يشرد عن القطيع ومركزه.

كذلك يعرض الحزب خدماته في التفاوض مع مسلحين قد يقوضون الامن ويقتلون دون هوادة. الحزب الفلكلوري هذا ينفخ نفسه في المؤتمرات الخاصة ويعامل بأبهة رفيعة وكأنه من بقايا الارستقراطية الروسية البيضاء في عصرها الذهبي من قبل المستقبلين والداعين للاجتماعات السرية.

اما الشريحة الثالثة فتضم طيفا متنوعا من الاسلاميين والذين لم ترتق وثبتهم بعد لدرجة استقبالهم علنا في مراكز البحوث ورسم السياسة، حيث يجتمع السياسي والاداري الغربي مع الضيوف العرب يخصص لهؤلاء حيزا صغيرا في مراكز ابحاث غير مرموقة ولكنها تهيئ الفرصة للقاء وجس النبض ولو عن بعد ونعتقد ان هؤلاء ستتم ترقيتهم في المستقبل الى درجة اعلى مما هي عليه الآن اذ ان التشاور والتفاوض بشأنهم قائم على قدم وساق وترتبه جهات غير رسمية. لقد ولى عصر الاقتراب من الاسلاميين عن طريق الباحثين والصحافيين الذين يرسلون اليهم «ليدرسوهم» ويطلعوا على خبايا فكرهم وخفاياه. اليوم يغازلهم الغرب من بعيد على الاقل علنا والله اعلم ما يدور في الخفاء فرجال المخابرات الغربية لهم شبكتهم الخاصة والتي لا يطلع عليها احد حتى هذه اللحظة.

في هذه الاجتماعات الهامشية مع الاسلاميين يستنطق الغرب هؤلاء ويرصد مصطلحاتهم ويواجههم بلائحة طويلة من المصطلحات أولها «الجهاد» ثم «الخلافة» و«الشريعة» و«الأقليات غير المسلمة» واخيرا «المرأة» ولا يغيب عن هذه اللقاءات كابوس اسرائيل فيستنطق الاسلامي عن موقفه من الكيان الصهيوني ومدى قابليته للاعتراف بهذا الكيان. ومن ثم تنفض الجلسات بعد تبادل التحيات وكلمات تمجد الحوار وتبادل الآراء.

تنعقد هذه المؤتمرات في جميع العواصم الغربية بشكل منتظم ودوري من باب التعرف على القوى الفاعلة في المجتمعات العربية وخاصة الذي يعتقد الغرب ان لها ثقلها في الوصول الى ديمقراطية يعرفها الغرب ويحدد اطرها مسبقا. يتنقل الغرب بين ديمقراطية الفنادق ذات الخمس نجوم الى حوارات ضيقة مع شيخ العشيرة مرورا بالمؤتمرات المتعلقة بالاسلاميين والتي فيها الكثير من الغزل على استحياء. ومن اجل ان يكتمل النصاب في مثل هذه اللقاءات فلا بد ان يأتي وجه انثوي والذي تستثنيه فقط اللقاءات الغربية ـ القبلية اذ ان شيخ العشيرة لا يأتي بحريم القبيلة معه الى عواصم الغرب بينما نجد ان حزبي المثقفين والاسلاميين قد تجاوزا هذه العقدة وقد تطعم حلقاتهما مع الغرب بعنصر نسائي.

تختلف تشخيصات الاحزاب الثلاثة لتراجيدية العرب في القرن الواحد والعشرين. حزب المثقفين يلقي اللوم على حزب القبيلة وتخلفه بالاضافة الى حزب الاسلاميين اذ يعتقد الحزب المثقف انهما المسؤولان عن التخلف واعاقة الديمقراطية اما الحزب القبلي فهو يتهم غوغائية المثقف الذي لا يفقه خبايا المجتمعات العربية المتمسكة بارثها الفولكلوري وهويتها القبلية الضيقة. اما الحزب الاسلامي فاتهامه موجه للانظمة التي تعتقل اعضاءه وتنتهك حرمة بيته وتقتل كوادره دون محاكمة علنية او احترام الانسانية.

امور كثيرة تغيب عن تراجيدية العرب والغرب بفصولها الثلاثة السابقة الذكر. المجتمعات العربية اليوم مشطورة الى قسمين بطريقة لم تشهدها المنطقة من قبل. شطر اغتنى بطريقة خيالية جراء مشاريع اللبرلة الاقتصادية والانفتاح الذي بدأ يطبق في معظم الدول العربية منذ اكثر من عقدين. هذا الانفتاح ادى الى تبلور طبقة ثرية انتفعت من هذا الانفتاح بسبب قربها من مواقع السلطة واستأثرت بعقود وصفقات جديدة فسح لها المجال بعد الانفتاح الاقتصادي. مقابل هذه الشريحة توجد اطياف كبيرة من المحرومين العرب الذين بقوا على هامش مشاريع التنمية والتعليم والانفتاح الاقتصادي. هؤلاء المحرومون هم قنابل المستقبل التي تقبع اليوم في مؤخرة الهرم الاجتماعي المشغولة بتوفير لقمة العيش لاطفال يسرحون ويمرحون في ازقة المدن العشوائية واحياء تفتقد للمياه والمدارس والخدمات الصحية والاجتماعية. ليست لهذه الشريحة قبيلة تحتضنها ولا مثقف يبرز معاناتها ولا حزب اسلامي يدافع عن مصالحها الاقتصادية واحلامها التربوية. وليس لها مجلس عائلة يعطيها قرضا لتدبير امورها. تعتاش على صدقات ربما لا تصلها معظم الاحيان.

يبدو ان الحديث عن الديمقراطية هو تنظير يفتقد لاهم وطيدة اساسية الا وهي القاعدة الاقتصادية التي تفرض تحرر الفرد من عبودية العوز حتى يبدأ التفكير في مصيره السياسي. لم تنتج ديمقراطيات الغرب عن مؤتمرات في فنادق ولا حوارات في مراكز ابحاث او لقاءات مع قبائل هنا وهناك، بل نتجت عن واقع اقتصادي معين تميز بوجود شريحة كبيرة متوسطة الدخل بدأت تفكر بتمثيلها السياسي حتى تستطيع ان تضمن مصالحها الاقتصادية اولا ومن ثم حقوقها السياسية ثانيا. العالم العربي اليوم بانشطاره الحالي لم يفرز هذه الشريحة وان وجدت في بعض المجتمعات فهي تظل اما مرتبطة بالانظمة التي توفر لها العمل بشكل كبير ومنتشر في المرافق الحكومية والقطاع العام او متقوقعة خلف وظائف بسيطة ليس لها الثقل الاقتصادي المطلوب من اجل تفعيل دورها كشريحة ضاغطة تطالب بالتمثيل السياسي. بين الاثرياء الجدد وجيش المحرومين تبقى المجتمعات العربية معلقة في مسيرتها نحو الديمقراطية. تشبعت هذه المجتمعات بشعارات تأتي بألوان مختلفة من مطالب بالحفاظ على خصوصيتها الثقافية الى آخر يتشدق بتخلفها وثالث يتغنى بأصالتها. يفوت كل هؤلاء ان جيش المحرومين يظل حبيس العوز المهيمن على العاطلين والانهاك البادي على وجوه نسائه والانبهار في عيون اطفاله وهم يتسكعون في اسواق المدينة التي يرون خيراتها ويشترونها في خيالهم فقط. لن يحلم هؤلاء بديمقراطية الفنادق والمؤتمرات بل سيحلمون باقتناء آخر صرعات السوق التي يستعرضونها على الشاشات في برامج الدعاية والابتزاز العاطفي.

* كاتبة واكاديمية من الجزيرة العربية

دفاعا عن أمن بلدانكم أنقذوا العراق!

محمد صادق الحسيني

■ ان تكون وطنيا مخلصا لشعبك واهلك في اي قطر عربي او اسلامي اليوم ليس امامك الا طريق واحد وهو الكفاح ضد الاحادية ونزعة الهيمنة الامريكية.

انه الداء الاكبر الذي ينخر في جسم كافة بلدان العالم الثالث وليس بلدان العالمين العربي والاسلامي.

ان خلاصة تجربة العراق التي تكاد فصولها ان تكتمل بخيبة امل واحباط شديدين لكل من راهن على الاجنبي او استقوى به على اخوانه من اهل الداخل تؤكد بان مثل هذا الخيار لا يمكن الا ان يأتي بالدمار والخراب للبلد ويجعله عرضة لحروب اهلية لا يعرف احد مدياتها النهائية.

انه نفس الخطر الذي يداهم اللبنانيين الان وهو نفسه الذي يداهم الفلسطينيين، وكذلك الافغان والايرانيين والمصريين وكل ملة او قوم تخرج من بينهم فئة تراهن على تداخل الاجنبي لنصرة فئة على اخرى!

وليس مهما شكل الحجة او الذريعة التي تقدم في هذا السياق. سواء اكانت الحجة دعما للحريات المستباحة او الديمقراطية المفقودة او لقمة العيش المنهوبة او من اجل مكافحة الطاغية او المستبد الذي يتحكم بمصير العباد والبلاد بلا رادع او وازع من ضمير او غيره!

والسبب الرئيسي في ذلك امران: الاول وهو ان المتدخل الاجنبي يحمل في طبيعة عمله التدخلية صفات الجشع والتوسع والاستحواذ على المزيد من القدرات ومواقع النفوذ وهذه صفات تجلب معها المزيد من المصائب لاهل اي قطر يبتلى بامتحان او اختبار التدخل الاجنبي.

والثاني هو ان الظروف الاقليمية والدولية بمجملها باتت مترابطة الى حد كبير لا يمكن معها المراهنة على «التدخل المحمود» او الانتداب والحماية والرعاية «الديمقراطية»!! المحدودة والخاصة بهذا الشأن او هذا البلد فقط أو ذاك!!

ان هاتين الطبيعتين اللتين هما اصلا من طبيعة الاستعمار بوجهيه القديم والجديد، وهي الطبيعة التي لازمت كل الامبراطوريات التي مرت في التاريخ، هي التي كانت ولا تزال تلازم كل تدخل خارجي او اجنبي في اي شأن من شؤون اي بلد مبتلى بنخبة تروج له او حماقة حاكم تمهد له!

انظروا الى تجربة العراق الحية امامنا جميعا كيف اودت بالبلد الى الخراب والدمار والتمزق والتفتت وكيف تهدد التجربة نفسها بانتقال العدوى الى كل جيران العراق من دون استثناء.

ان كل التقارير والانباء والمعلومات التي لا يزال الكثير منها تحت «الطاولة» تشير الى ان المتدخلين ومعهم النخب المروجة لهذا التدخل يعملون صباح مساء لنقل هذه العدوى الى السعودية وسائر دول مجلس التعاون والى ايران وتركيا والاردن وبلاد الشام وصولا الى الباكستان وشبه القارة الهندية.

لا احد بمنأى عن هذا الخطر مطلقا، ولا احد يستطيع بمفرده ان ينجو من خلال الاكتفاء بدفاعاته الوطنية المحدودة!

يخطئ تماما من يتصور ان بامكانه ان يبعد مثل هذا الشر عنه بمجرد الانكفاء على «وطنيته» الخاصة او انه يدفع عنه ذلك من خلال السكوت على ما يجري من حوله، بل ودعمه ورعايته احيانا بحجج وذرائع ظاهرية تبدو مقبولة لرأيه العام الداخلي سواء من خلال التخندق خلف الاعراق او التخندق خلف الطائفة او المذهب ناسيا او متناسيا بانه يحفر في داخل بلاده مثل هذا التخندق الذي يعمل عليه الاجنبي والنخب المنبهرة به او المتواطئة معه، ولا يمنعها البدء بموقع جديد الا انتهاز الفرصة المناسبة.

ان كل الانباء والتقارير تحت «الرماد» تفيد بانهم يحركون ويغذون التنازع والاحقاد الطائفية في منطقة الخليج بشتى الطرق والوسائل وينتظرون اللحظة المناسبة، ومن لا يصدق فليعمل مطالعاته وتحقيقاته به ليكتشف بنفسه حدة الاستقطابات والتعبئة المترافقة معها.

الشيء نفسه ينطبق على الاردن وبلاد الشام وايران وتركيا... انهم يكادون ينخرون جسم الامة نخرا! نعم فانهم يستندون الى واقع قد يكون حقا ويتفوهون بكلام قد يكون فعلا حقا، لكنهم لا يريدون به الا الباطل!

وها هي تجربة العراق امامنا حية وطازجة! وكلما تمادوا في العراق كلما انتقل المرض المعدي الى سائر بلدان الجوار فضلا عن المزيد من الخراب للعراق.

المطلوب وقفة جادة من الجميع، اهل العلم والدين والسياسة والادب والقلم والصحافة والفضائيات و... انطقوا بالحق ولو كان فيه غضاضة على انفسكم او كان مرا بحقكم فاليوم قد يكون اهون بكثير عليكم من المستقبل، وقد يكون الغد متأخرا جدا جدا.

القدس العربي
يومية سياسية مستقلة
تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم
الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و 750 دولارا امريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد.

الناشر:
مؤسسة القدس العربي للنشر والاعلان

رئيس التحرير:
عبد الباري عطوان

المقر الرئيسي (لندن): 164/166 كنج ستريت، همرسميث، لندن دبليو 6 او كيو يو
هاتف: 8008 741 0208 (6 خطوط)
فاكس: 8902 741 0208 أو 7637 748 0208
مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الدور الاول ـ شقة رقم (2). هاتف/فاكس: 3901523(202)
مكتب المغرب: 80 شارع فال ولد عمير شقة 7 الطابق الرابع ـ الرباط. هاتف/ فاكس: 770594(37 212)
مكتب عمان: شارع الصحافة مجمع البداد التجاري الطابق الرابع.
هاتف/فاكس: 5066089 (9626)
مكتب باريس: هاتف ـ فاكس: 57364 420 (331)

Al-Quds Al-Arabi
daily Independent News Paper
Published In London, New York and Frankfurt by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe, Middle East, North Africa and North America.
Editor In Chief
ABDEL BARRI ATWAN

Head Office (London): 164-166 King Street, Hammersmith, London W6 0QU England
Tel: 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: 0208-741 8902 / 748 7637
email: alquds@alquds.co.uk * Internet: www.alquds.co.uk
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St, First Floor, Flat No (2).
Tel/Fax: (202) 3901523
Morocco Office: 80 Fal Ould Omeir Str. Flat No.7 - Rabat - Morocco
Tel/Fax: (212 37) 770594
Amman Office: Al Sahafa St. Badad Business Complex.
Tel/Fax: (9626) 5066089
Paris Office: Tel / Fax: (331) 420 57364